بسم الآب والابن والروح القدس الله الواحد آمين

الصليب وبذل الذات

من رسالة معلمنا القديس بولس الرسول إلى أهل غلاطية، الإصحاح الثاني:

"مع المسيح صُلِبت، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ. فما أحياه الآن في الجسد، فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي. لست أبطل نعمة الله، لأنه إن كان بالناموس برٌّ، فالمسيح إذًا مات بلا سبب" (غل 2 : 20 – 21)

"أيها الغلاطيون الأغبياء، من رقاكم حتى لا تذعنوا للحق، أنتم الذين أمام عيونكم قد رُسِم يسوع المسيح بينكم مصلوبًا" (غل 3 : 1)

- نشكر الله كثيرًا أنه يسمح أن نشترك معه في تذكار آلامه من خلال أسبوع الآلام.
- هذا الأسبوع هو باب لكل السالكين في طريق الملكوت.
- كان آباؤنا ينقطعون فيه تمامًا عن كل أمور العالم، وعن أشغالهم، ولا يتفرغون إلا للتأمل في آلام ربنا يسوع.
- لذلك يجب أن يكون عملنا طوال هذا الأسبوع أن نتأمل في آلام السيد المسيح من خلال القراءات التي اختارتها الكنيسة بإرشاد الروح القدس.
- ونتأمل أيضًا في آلامه من خلال الألحان التي وضعها آباؤنا، ألحان خشوعية جدًا متى قيلت بالروح، ومتى سُمِعَت بالروح، فإنها تُعطي انسحاقًا كاملًا للنفس وتمدّنا بتوبة.
- نتأمل أيضًا في آلامه من خلال الأيقونات التي تضعها الكنيسة أمامنا في هذا الأسبوع،
- كل ذلك لكي يحصر الإنسان فكره ومشاعره وقلبه وأحاسيسه في آلام السيد المسيح.
- حتى شكل الكنيسة الكل يخرج ككهنة وشعب في الخورس الثالث، وذاك بحسب ترتيب الكنيسة:
  - **الخورس الأول**: خورس الموعوظين
  - **الخورس الثاني**: خورس المؤمنين، الناس الذين كانوا يتناولون ويصلّون في التسبحة.
  - **الخورس الثالث**: وكان يسمى سابقًا :خورس التائبين، الناس الذين يقدّمون توبة.

فعندما نقف في الكنيسة ونجلس في الخورس الثالث، فإننا مطالبون في هذا الأسبوع أن نقدم توبة عن كل أعمال تُغضب الله.

- إن التأمل في آلام السيد المسيح هو شركة في آلامه.
- وقد صار ذلك في حياة كثير من القديسين، فمن خلال تأملهم في آلام المسيح، انطبعت فيهم صورة جراحات الحبيب.
- اشتراكنا في الآلام يكتمل بحملنا للصليب، وبقبولنا للضيقات، والأمراض، والمضايقات.

لكن التأمل الحقيقي في آلام السيد المسيح هو اشتراك حي معه في آلامه.

- يقول القديس أغسطينوس "كما أن توما، حين لمس جراحات المسيح، شُفِيَت نفسه، كذلك لا شيء أنفع لنفوسنا من التأمل في آلام السيد المسيح".
- التأمل في آلام السيد المسيح هو **منهج**، ليس فقط للأنبياء، وليس فقط للآباء الرسل، ولن أكون مبالغًا إن قلت إنه كان أيضًا **منهج السيد المسيح نفسه**.

- الأنبياء رأوا الصليب من خلال النبوة، وكما قال بولس الرسول: "من بعيد نظروه وحيّوه" لقد عاشوا الصليب
- **أشعياء النبي** في أشعياء53 يتأمل في آلام المسيح بكل عمق ، زكريا النبي، **إرميا النبي**، فقد كان هذا هو منهج الأنبياء.
- ما من نبي أرسله الله، إلا وتنبأ عن الطريق، معلمنا القديس بطرس الرسول يقول "وأما الله فما سبق وأنبأ به بأفواه جميع أنبيائه" أي لا يوجد نبي إلا وتكلّم بهذا الكلام.
كل الأنبياء تقريبًا، بلا استثناء، تأملوا في صليب المسيح، من خلال النبوة. فهذا إذًا هو منهج الأنبياء **التأمل في آلام المسيح**
- وأيضًا كان هذا منهج آبائنا الرسل. الإنجيليون الأربعة أفرَدوا إصحاحاتٍ كاملة للتأمل في آلام وأحداث الصليب، فهذا هو المنهج الذي وضعه الله للكنيسة.
- الإصحاحات الأخيرة في الأناجيل الأربعة كل إنجيلي خصص إصحاحين عن الصليب، وليس فقط الأناجيل الأربعة، بل أيضًا في عظات آبائنا الرسل، ومن يتأمل في سفر أعمال الرسل، ويقرأ عظات مثل عظات معلمنا القديس بطرس:

- في أعمال الرسل إصحاح 2 يوم حلول الروح القدس
- في أعمال الرسل إصحاح ٣ عندما شفى المخلّع المقعد الذي كان عند باب الهيكل
- في أعمال الرسل إصحاح ١٠ عندما بشّر كرنيليوس.

كل هذه العظات تدور حول الصليب، فكان هذا هو موضع التأمل الرئيسي للقديس بطرس
- أما بولس الرسول، فنجد العظة التي ألقاها في أنطاكية بيسيدية أعمال الرسل إصحاح 12 كلها كانت تدور حول الصليب.
- كل مداخل الكرازة التي قام بها آباؤنا الرسل، كان الأساس فيها هو الصليب، وكان موضع تأمل الآباء الرسل، لذلك قال معلمنا بولس الرسول"لست أعلم أني أعرف شيئًا بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوبًا" (كو 1 : 2). هذا هو مركز كرازته.
- كان هذا أيضًا منهج السيد المسيح نفسه، السيد المسيح رسم لنا خطوات لكي نقتفي آثاره، كان الصليب أمام عينيه قبل التجسد، بل قبل تأسيس العالم معلمنا القديس بطرس الرسول يقول عن الصليب "دم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح معروفًا سابقًا قبل تأسيس العالم" (1بط 1 : 19 – 20) لذلك وجدنا أن السيد المسيح منذ تجسده، كان الصليب أمامه عينيه، بل كان الصليب هو العلامة الخاصة بالسيد المسيح، علامة مرتبطة به.
- في ميلاد السيد المسيح، حين ظهر الملاك للرعاة وبشّروهم، قالوا لهم"ها أنا أبشّركم بفرح عظيم... قد وُلِدَ لكم اليوم مخلّص، هو المسيح الرب".
- وأين هو؟ في بيت لحم، وكيف يعرفونه؟ ما هي علامته؟ "تجدون طفلًا مقمّطًا مضطجعًا في مزود.
- من أول ميلاده، له علامة مرتبطة به، علامة تميّزه، علامة تُظهره. ما هي؟
طفل موضوع في مزود.المزود هو الصليب، المزود هو إخلاء الذات، مكان لا يُحتمل أن يسكن فيه الإنسان، لكن المسيح وُلِدَ فيه.
فالصليب كان مرتبطًا به منذ لحظة ميلاده، وعندما بلغ السيد المسيح أربعين يومًا، أخذته العذراء مريم لتُتمّم شريعة الناموس، حمله سمعان الشيخ على ذراعيه وبارك الله، ثم أشار إلى الطفل وقال "إن هذا قد وُضع لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل، ولعلامة تُقاوَم".
هو طفل صغير عمره أربعون يومًا، ومع ذلك، لكن قال عنه سمعان الشيخ: أنا أشهد أن له علامة ملتصقة به، مرتبطة به، وهذه العلامة ستظل موضع مقاومة العالم حتى نهاية الأيام
- ارتبط الصليب بالمسيح وهو ما زال طفلًا رضيعًا، علامته مرتبطة به.

- هناك أيقونة جميلة جدًا، رُسِمت للسيد المسيح عند دخوله الهيكل، وكان عمره أربعين يومًا، وسمعان الشيخ كان واقفًا يبارك الطفل، والعذراء ويوسف النجار واقفان، وظِلّ المسيح على الأرض رُسِم على هيئة صليب والعذراء تقف أمام سر الصليب، وتجزّع من سماع هذه الكلمات "أما العالم فيفرح لقبوله الخلاص وأما أحشائي فتلتهب عند نظري إلى صلبوتك"

- وحين تحدّث السيد المسيح عن مجيئه الثاني،قال"حينئذٍ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء".

بل حتى بعد قيامة السيد المسيح، حين انتصر على الموت، وانتهى عمل الصليب، لم ينفصل الصليب عنه، بل ظل الصليب مرتبطًا به، علامة خاصة به.

- عندما قام السيد المسيح من الأموات، وذهبت النسوة إلى القبر، ظهر لهنّ الملاك، وقال "أنتنّ تطلبن يسوع المصلوب"، لكن ألم تنتهِ القصة؟ ألم يُقم؟ كان يجب أن يقول: "تطلبن يسوع القائم" ،لكن قال "يسوع المصلوب" لأن العلامة التصقت به، الصليب ارتبط بالسيد المسيح. حتى في ملكوت السموات، موضوع تسبيحنا في السماء سيكون"للحمل القائم كأنه مذبوح" نقول له"لك القوة والمجد والبركة"

الصليب ارتبط بالسيد المسيح طوال حياته، وكان علامة له في كل يوم، بل في كل ساعة، بل في كل لحظة. كان الصليب أمام عيني المسيح دائمًا، هذا هو منهج المسيح الذي وضعه لنا، لكي نسلك مثله.

الصليب لم يكن مجرد حادثة في نهاية حياة السيد المسيح، ولا أنه عُلّق على خشبة ثم انتهى الأمر! لا، بل السيد المسيح أشار إلى الصليب في الأناجيل الأربعة حوالي خمس وعشرين مرة.

* تظهر إشارات السيد المسيح إلى الصليب في الإنجيل في مواضع متعددة، ويجب أن نتأمل بعمق في آلام المسيح لكي نشترك معه في آلامه:

1. في عرس قانا الجليل

ونحن لا نزال في أول معجزة أتمّها السيد المسيح، أول آية صنعها، وهي تحويل الماء إلى خمر، ماذا قال عندما طلبت منه السيدة العذراء أن يتدخل؟ قال لها: "ما لي ولكِ يا امرأة؟ لم تأتِ ساعتي بعد".

هذه هي بداية الأفعال أو المعجزات التي عملها يسوع، وأظهر بها مجده، فآمن به تلاميذه.

نحن لا نزال في بداية معجزات المسيح، فانظروا كيف ينظر إلى هذا الطلب؟

ينظر إلى الصليب. "لم تأتِ ساعتي بعد" الساعة وظلّت، هذه الساعة مرسومة أمام عيني السيد المسيح في كل لحظة من لحظات حياته.

2. عندما اقتربنا من الصليب، في يوم أحد الشعانين

قال السيد المسيح "قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان" انظروا كيف كان يتحدث عنها في السنة الأولى، في المعجزة الأولى، ووصلنا إلى أحد الشعانين، وقد نظر بعينيه إلى تلك الساعة – ساعة صلبه.

3. نقترب أكثر في يوم خميس العهد

يقول معلمنا يوحنا في الإصحاح 13 " أما يسوع، قبل عيد الفصح، وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب" الساعة اقتربت، لأنها يوم الفداء.

4. في الصلاة الوداعية

قال هذه الكلمات بتوسلٍ عميق، وقف أمام الآب وقال "أيها الآب، قد أتت الساعة، مجد ابنك". اقتربت الساعة.

5. بعدها بقليل، دخلنا بستان جثسيماني

وعندما جاء الجنود للقبض على السيد المسيح، قال لهم "هذه ساعتكم وسلطان الظلمة".

6. لما تكلّم عن الصليب قال "لأجل هذه الساعة أنا أتيت"

كانت ساعة الصليب موضوعة أمام عيني السيد المسيح في كل لحظة من لحظات تجسده، وكانت موضوع فكره وتأمله، لم تغِب عن ذهنه أبدًا.

* والعجيب أيضًا، أنه هو نفسه الذي حدّد ساعته!

من يلاحظ، يعلم أن رؤساء الكهنة والكتبة قالوا "نريد أن نقتل يسوع، ولكن ليس في العيد، لئلا يكون شغبٌ في الشعب" أرادوا أن ينتظروا بعد العيد، لكن السيد المسيح قال أنا من يحدّد الساعة. ساعتي ستكون في ساعة الفصح، وعندما تذبحون الخروف، أكون أنا الفصح، معلقًا على الصليب. لأن فصحنا، المسيح قد ذُبح لأجلنا. فالذين تآمروا ضده، كانوا يخططون لتحديد الساعة، لكن هو حددها بنفسه، فالصليب كان موضوعًا أمام عينيه.

*أيضًا، أمر آخر، في بداية خدمة السيد المسيح، في السنة الأولى

وفي أول زيارة له للهيكل، بعد أن بلغ سن الثلاثين، وتعمّد من يوحنا المعمدان، ودخل الهيكل. في إنجيل يوحنا ٢، رأى الفساد في الهيكل، فقال له اليهود "آية تُرينا حتى تفعل هذا؟" أي: بأي سلطان تفعل هذا؟ فقال لهم السيد المسيح "انقضوا هذا الهيكل، وأنا في ثلاثة أيام أقيمه" وقد أشار بإصبعه، ليس إلى هيكل أورشليم، بل إلى جسده. لكنهم لم يفهموا، أما يوحنا البشير، فقد كتب "وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده".

والأعجب من ذلك، أنه بعد ثلاث سنوات ونصف

عندما حوكم السيد المسيح، شهِد عليه بعضهم بشهادة زور، وقالوا "قال إنه ينقض الهيكل وفي ثلاثة أيام يقيمه".هذا القول كان في أذهانهم. حتى عندما عُلِّق على الصليب، كان المارة يهزّون رؤوسهم ويقولون له "يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام، خلّص نفسك" فهذا القول الذي قاله السيد المسيح منذ ثلاث سنين، ظلّ محفوظًا في الأذهان.لأن الصليب كان في فكر المسيح باستمرار.

أيضًا يا أحبائي، في حديثه مع نيقوديموس، ونحن لا نزال في السنة الأولى

بعدما طهر الهيكل، جاء إليه واحد من الفريسيين اسمه نيقوديموس، وكان حديثًا طويلًا (يوحنا ٣). في هذا الحديث، يقول له السيد المسيح "وكما رفع موسى الحية في البرية، هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان،لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية".

وفي حديثه عن الصليب قال لهم: "متى رفعتم ابن الإنسان، فحينئذ تفهمون أني أنا هو"

وقال أيضًا: "وأنا إن ارتفعت عن الأرض، أجذب إليّ الجميع". وأكرر، نحن لا نزال في السنة الأولى!

في حديث دار بين السيد المسيح ورؤساء اليهود

قالوا له" أية آية ترينا حتى نؤمن بك؟" فقال"جيل فاسق شرير يطلب آية، ولا تُعطى له آية إلا آية يونان النبي، فكما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، هكذا يكون ابن الإنسان في بطن الأرض".

قال لهم: هذه هي الآية التي سأعطيكم إياها. فقالوا له: "يا رب، ألم تصنع آيات كثيرة؟"!

قال لهم: "أنا طهّرت برَص، أقمت موتى، فتحت أعين العميان، لكن الآية الخاصة بي تختلف عن كل هذه الآيات" قال: "هذه الآية التي سأعطيكم إياها هي أنني أموت وأقوم". وليس هناك أحد يشاركني في هذا.

أيضًا يا أحبائي، في حديثه مع الجموع، في معجزة إشباع الخمسة آلاف
قال لهم السيد المسيح في يوحنا ٦: "الخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أُبذله من أجل حياة العالم".

وفي خميس العهد، حين أخذ الكأس
قال لتلاميذه"هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يُسفك من أجل كثيرين".

ففي حديثه مع الرؤساء تكلّم عن الصليب، وفي حديثه مع الجموع تكلّم عن الصليب، وفي حديثه مع التلاميذ تحدّث عن الصليب.

ثلاث نبوات واضحة جدًا جدًا عن الصليب، ذكرهم القديس متى، والقديس مرقس، والقديس لوقا، وكل نبوءة منها تزداد تفصيلًا عن السابقة. فكانت صورة الصليب مرسومة أمام عينيه بكل تفاصيلها

في متى 16 : 21
كان السيد المسيح مع تلاميذه في قيصرية فيلبس، وسأل التلاميذ: "من يقول الناس إني أنا؟"
"من ذلك الوقت، ابتدأ يسوع يعلن لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم"...
انظروا كيف حدّد المكان. وقال: "ينبغي أن يتألم كثيرًا"... من الذين سيتسببون في آلامه؟ ذكرهم بوضوح: الشيوخ والرؤساء والكتبة. ويُقتل، وفي اليوم الثالث يقوم. تصريح واضح.

اقتربنا أكثر في متى ١٧
كان السيد المسيح على جبل التجلي، وحين نزل بدأ يقول نبوة ثانية عن الصليب بصورة أوضح.
قال لهم: "ابن الإنسان سوف يُسلَّم إلى أيدي الناس".

النبوة السابقة قال فيها: سيتألم على أيدي اليهود – الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة. أما هنا، أضاف ضوءًا جديدًا، وقال: "إلى أيدي الناس"، أي الأمم، وهم ممثَّلون في بيلاطس وهيرودس. فقال" :فيقتلونه، وفي اليوم الثالث يقوم".

اقتربنا أكثر، وكشف المسيح مراحل الصليب بكل وضوح في متى 20: 17 - 19
كان المسيح صاعدًا في رحلته الأخيرة إلى أورشليم، فقال لتلاميذه: "ها نحن صاعدون إلى أورشليم".
ذكّرهم بالنبوة الأولى، أنه لا بد أن يذهب إلى أورشليم وقال: "وابن الإنسان يُسلَّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة"... راجع هذا الكلام في جمعة الصلب، وانظر مراحل الصليب:
1. وابن الإنسان يُسلَّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة ← أول ما أمسكوا به ذهبوا إلى رؤساء الكهنة حنان ثم قيافا
2. فيحكمون عليه بالموت ← يوم الجمعة الفجر عُرض على مجمع السنهدريم "فأصدر رئيس الكهنة الحكم عليه أنه مستوجب الموت".
3. ويسلمونه إلى الأمم ← فأخذوه إلى بيلاطس، ولمّا علِم أنه جليلي، أرسله إلى هيرودس، ليُستهزأ به
4. لكي يهزأوا به هناك ← لأن الذي استهزأ به هو هيرودس وجنوده.
5. ويجلدونه ← بعد أن سخروا منه جلدوه

نرى كيف كان الصليب في فكر المسيح في كل لحظة من لحظات حياته.
حتى قبل الفصح بأيام، في سبت لعازر، يقول الكتاب المقدس:
أن مريم جاءت وسكبت طيبًا كثير الثمن على رأس السيد المسيح، فقال السيد المسيح "اتركوها، إنها ليوم تكفيني قد حفظته".
وكان يرى ما سيحدث، يريد أن يقول لهم أنا سأموت، ولن تتمكنوا من تكفيني كما جرت العادة لأنه سيكون يوم الجمعة، والساعة الحادية عشرة سيدخل وقت الاستعداد للسبت، ولن يستطيعوا أن يُحنّطوا الجسد كما يجب أن يكون. كان ينبغي أن يُدهَن جسد المسيح، لكنه لم يُدهَن، وكان ذلك تدبيرًا إلهيًّا، لكي عندما يظهر الكفن فيما بعد تظهر علية آثار آلامه.

يوم أحد الشعانين، حين جاء اليونانيون لكي يطلبوا أن يروا السيد المسيح، فقال السيد المسيح:
"الحق الحق أقول لكم، إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمُت، فهي تبقى وحدها، ولكن إن ماتت، تأتي بثمر كثير". لم يكن الغرض من هذا الكلام واضحًا فأوضحه السيد المسيح أكثر فقال: **"وأنا إن ارتفعت عن الأرض، أجذب إليّ الجميع"**.
والقديس يوحنا شرح لنا فقال: **"قال هذا مشيرًا إلى أية ميتة كان مزمعًا أن يموت بها"**.
اقتربنا أكثر إلى يوم الثلاثاء كان السيد المسيح في الهيكل يعلّم، ومن ضمن تعليمه، قال **مثل الكرّامين الأردياء**. **"هذا هو الوارث، هلمّوا نقتله فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه"**.
وهذا ما تم فعلًا حيث أخرجوه خارج أورشليم وصُلب خارج المحلة

أما يوم **الأربعاء**، فقال السيد المسيح لتلاميذه في (متى ٢٦):
"تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح، وابن الإنسان يُسلَّم ليُصلب".
يوم خميس العهد، قال لتلاميذه **"شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم"**.
وفي يوم خميس العهد أيضًا، كشف عن يهوذا الذي سيسلّمه، وقال: **"الذي أضع اللقمة وأعطيه إياها، هو الذي يسلّمني"**.
واقتربنا أكثر إلى الصليب. رأينا السيد المسيح حين دخل **بستان جثسيماني**، قال لتلاميذه:
"هوذا الساعة قد اقتربت، وابن الإنسان يُسلَّم إلى أيدي الخطاة".
أول ما رأى يهوذا قادمًا، قال لهم **"قوموا، هلمّ ننطلق. هوذا الذي يسلّمني قد اقترب"**.
وفي البستان، حين سألوه **"من تطلبون؟"** قال لهم **"أنا هو"**. هذه هي ساعتكم.

في كل لحظة كان الصليب أمام عينه هذا منهج وضعه السيد المسيح.
وقد قال لنا: "من أراد أن يأتي ورائي، فلينكر نفسه، ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني".

الصورة التي كانت مرسومة أمام عيني المسيح، صورة الصليب، علينا جميعًا أن نسلك على هذا المثال. ليكن الصليب موضوعًا أمام أعيننا كل يوم، كل ساعة، كل لحظة من أراد أن يكون لي تلميذًا، فلينكر ذاته، ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني.

* ما هي غاية الصليب؟؟؟ الصليب له غاية واحدة هي موت الذات.
الذات هي الكرامة، هي محبة المديح، هي محبة المتكأ الأول المسيح بالصليب أراد شيئًا واحدًا: أن يميت الذات. من أراد أن يكون لي تلميذًا، فلينكر ذاته. كيف يا رب؟ قال :يحمل صليبه.
فالمسيح ينظر إلى الصليب ويقول: "هذه كرامتي، هذا مجدي".
أين كرامته؟!

أسبوع الآلام هو أسبوع الصليب يكشف لنا ما هي الذات وكيف تموت.
نحن في هذا الأسبوع نرسم منهج حياة نعيشه.

أسبوع الآلام من بدايته:
أول يوم في أسبوع الآلام – سبت لعازر (لعازر مات وأنتن)
الكنيسة تقول لك: هذه هي الذات الخاصة بالإنسان.
الذات تجعلني أبحث عن راحتي،فلا أقدر أن أتنازل من أجل أخي. الذات تجعلني أحسد، لأنني أخاف على نفسي. الذات تسلب السلام، تجلب القلق والتوتر، تجعلني منشغلًا طيلة النهار. فالفكر مضطرب، والقلب بلا سلام. الذات هي مثال لعازر في اليوم الأول.

اليوم الثاني – أحد الشعانين (السيد المسيح يدخل كملك)

ما الذي يمنع المسيح أن يملك على حياتك؟ ذاتك.
أنا لا أريد المسيح، أنا أريد ذاتي.
المسيح في أحد الشعانين دخل كملك. لكن من الذين رفضوه؟الكهنة ورؤساء الكهنة لأنهم حسدوه.
وقبله الأطفال الصغار لأن الطفل لا يملك ذاتًا. الطفل لا يحمل هم شيء، ولا يخاف، ولا يطلب شيئًا. لذلك قال لنا: "إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال فلن تدخلوا ملكوت السموات". لماذا لا تقولون: "سلامي لكم"؟ لأن الأمر ليس بأيديكم. ولماذا ليس بأيديكم؟ لأن ذاتكم هي التي تقود.
هل تريد أن ترى صورة جميلة، جميلة حقًا، لإنكار الذات؟ انظر إلى العذراء مريم. عجيبة العذراء، صدقوني. عجيبة جدًّا. فتاة عذراء نذرت بتوليتها، فيأتي الرب ويقول لها: "ستحبلين وتلدين"، وهي تعرف أن هذا الحمل يعرضها للموت، ويجعلها في نظر الناس امرأة خاطئة لا تُطاق. وهي، أم الطهارة والقداسة، تقول له: "ها أنا أمة الرب". لا توجد ذات فالمسيح مالك عليها.
في قصة إقامة لعازر وقت المديح لم نرى السيدة العذراء لكن تحت الصليب وقت العار، والخزي، والتعيير نراها هذه صورة الذات عندما يملك المسيح على النفس، وتموت الذات.
العذراء ذهبت إلى المسيح في عرس قانا الجليل وقالت له: "ليس لهم خمر". قال لها: "ما لي ولك يا امرأة، لم تأتِ ساعتي بعد". العذراء ذهبت إلى الخدام وقالت لهم: "مهما قال لكم فافعلوه". وانتهى الأمر. ولو أن كلامه بدا وكأنه يعاتبها، أمام الناس! ماذا عن نظرة الناس إليها؟ عن كرامتها؟ عن مكانتها؟ عن شكلها أمام الناس؟ لا تبالي، لا تملك ذاتًا، لا تحسب لهذه الأمور حسابًا.
الذات حين تموت، يحيا المسيح فيك ولذلك أقول لك: في يوم أحد الشعانين، تمُتْ ميتة الذات، فصار المسيح يملك عليك.

لكن الكنيسة، بحكمتها، تقول لك: قبل أن تدخل إلى ملكية المسيح، انتبه ليوم الاثنين.
ما هو يوم الاثنين هذا؟ إنه يوم لعن شجرة التين.
هو يوم الناس الذين لهم شكل... ولكن ليس لهم ثمر الذين لهم مظهر روحي يبدون وكأنهم يحملون ثمرًا. فيأتي المسيح ليبحث عن الثمر... فلا يجد.لهم صورة التقوى، ولكنهم ينكرون قوتها. يؤدّون الأعمال الروحية، فترى فيهم مظهر الروحانية لكن إن اقتربت منهم، لا تجد شيئًا
خطرٌ شديد إن الذات تتحصّن داخل الروحيات.
فلأحكم على نفسي، لئلا تكون ذاتي متحصّنة في الشكل، ولا أحصل على شيء في النهاية ولا يكون جزائي إلا لعنة المسيح.

* ما هي أشكال هذه الذات المتحصّنة؟

1. الذات التي ترغب في النمو الروحي السريع.

يلهث الشخص وراء الصوم، الصلاة، التناول... هذه أشياء تساعد على النمو الروحي، نعم هي أمور مهمة، لكنها مثل الطفل الصغير الذي يتعلم المشي يقع ويقوم، يسقط وينهض، وهكذا...
لابد أن يتعثر، لابد أن يتألم. الذات المتحصنة بالروحيات تُفرط في هذه الممارسات، لكن تخرج منها بلا ثمر. إذا لم تجد ثمار الروح القدس فكل هذه الصلوات والممارسات لحظات للذات، لا أكثر.
لذلك أنصحكم: الطريق الروحي طويل وهادئ ليس فيه انبهارات لذلك كثيرون تعثروا فيه فالاعتدال جميل.

2. الصورة الثانية للذات حين تتحصن في الروحيات الحزن المفرط عند السقوط.

إنسان بدأ الطريق الروحي، وتخيل أنه تخلص من كل الخطايا فأول ما يسقط، تجده حزينًا جدًّا، متضايقًا، وربما يدخل في غضب وثورة لأنه كان يعتمد على قوة ذاته كان يظن في نفسه أنه "شيء" فلما سقط، تحطمت صورته.

كما قال أوريجانوس عن نفسه: "كنت أحسب نفسي برجًا عاليًا، فلما سقطت، انكسر البرج"!
لماذا سقطت؟ لأنك كنت ترى نفسك برجًا عاليًا كنت ترى نفسك أعلى من غيرك فلما يبدأ الإنسان يظن أنه صار صالحًا، يستكثر على نفسه أن يسقط فإذا سقط تتكشف حقيقته: أنه ليس روحانيًّا كما ظنّ، بل هذه كانت مجرد "ذات" متحصنة في الروحيات.
لذلك، في كثير من الأحيان، يرى الله أن السقوط نافع للاتضاع حين يشعر الإنسان بالفشل، بالضعف، فهذا ينفعه، حتى لا تتضخم ذاته.
حتى إيليا النبي قال له الرب كفى، قد تعبت رغم أنه عمل أعمالًا عظيمة، وفي النهاية، قال له الرب: "كفى اذهب وامسح أليشع بن شافاط نبيًّا عوضًا عنك."
وهذا هو تحذير المسيح في يوم الاثنين ...للكنيسة.
لذلك، يا أحبائي، النصيحة التي نضعها أمام أعيننا: إن سقطت، لا تتعجب من سقوطك! بل عندما تسقط، قل له: "أشكرك يا ربي، لم أكن مستعدًّا لأن كل من يظن في نفسه، أنه لا يسقط، سيسقط، لا تكن كالعروس المدلّلة، التي إن سقطت تريد من الجميع أن يواسوها ويُطبطبوا عليها.

3. الصورة الثالثة للذات حين تتحصّن في الروحيات بعيدًا عن صليب المسيح: كثرة الشكوى.
المسيح يحاصر الذات، في البداية يحاصرها في البيت: من خلال أوامر الأب، أو الأم، أو الإخوة، لكي تموت الذات ثم يحاصرها في الدراسة: ربما لا يجد الإنسان نتيجة أو ثمرة، لكنه يطلب النجاح. فإن لم يخضع لله... يحاصره الله حين يخرج إلى العمل، ويجد مضايقات من الكبار أو الزملاء. فيأتي الناس تشتكي وتتذمر.
البعض يقول "ربنا قاصدني"، هم لا يعلمون أن الله يريد أن تموت الذات فإن لم تمت الذات في الشغل، يميتها الله بأمراض، أو بضيقات شديدة...

فتجد أن الذات، عندما تتحصن داخل الروحيات، لا تموت. وتجد النفس دائمًا في شكوى، دائمًا في تذمُّر، دائمًا تلقي باللوم على الآخرين: الناس، البيت، الظروف، الطهارة، هذا هو ما يريد الله أن يُميت الذات من خلاله.
فتجد النفس دائمة الشكوى، لأنها تريد أن تُثبّت ذاتها ولذلك فإن المسيح لا يترك الذات، بل يُحاصرها بالضيقات لا تشفق على نفسك كثيرًا، ولا تبحث عن شفقة الآخرين. لأن هذا هو "غلاف" الذات.

ثم ننتقل إلى يوم الثلاثاء: يوم التعليم في الهيكل، حين جلس المسيح يعلّم.
فالعلاج الحقيقي هو سماع الوصية. لا يوجد علاج آخر. الكلمة النارية الحية، التي تكشف أفكار القلب ونيّاته.

* فما هو علاج الذات؟
الخضوع لوصية المسيح كل وصية قالها المسيح، هدفها موت الذات اختر أي وصية وطبّقها، ستجدها تعمل ضد ذاتك.

* بعض النصائح للخضوع للوصايا:
1. اطلب من قلبك باستمرار أن تكون لا إرادتك بل إرادة الرب
الإرادة هي الذات نحن نصلي كل يوم في أبانا الذي... ونقول "لتكن مشيئتك" أي: "يا رب، لا أريد ذاتي، بل أريد ذاتك أنت."
2. في الطريق الروحي، ستجد فترات لا يوجد فيها تعزية روحية.
المداومة في العمل الروحي في هذه الفترات هو موت للذات، العمل الروحي وقت عدم وجود تعزية هو سحق للذات.
3. إن قمت بعمل روحي، وفوجئت أن هذا العمل تعطّل، وبدأت تغضب أو تنفعل، أو تشعر بالقهر... اعرف أن الذي يُغضبك هو ذاتك.

تعلّم أن تقبل العطل الذي يسمح به الله، ولا تسأل "لماذا؟" لكن نحن لا نعرف ماذا يفعل الله حتى يُكمّل عمله فينا.

4. لا تفعل شيئًا لأجل إرضاء الآخرين، أيًّا كانوا.

لا تسعى لإرضاء الناس على حساب الحق على حساب وصايا الله.

5. تجنّب أن تلفت انتباه الآخرين إلى نفسك.

لا تُظهر نفسك اخفِ نفسك، لا تتكلم عن نفسك، لا تحاول أن تفعل أي عمل لكي تظهر فيه ذاتك للآخرين أي إنسان يعمل عملًا ظاهرًا بهدف السُمعة، فقد أخذ أجره.

ارفض السيطرة، ارفض النصيب الأكبر، ارفض أن تكون كلمتك هي الأولى اقبل آخر كرسي، واقبل أن لا تسير الأمور بحسب رأيك لا تسعَ للإهانة، لكن إن أتت، فاقبلها

غدًا الأربعاء، نرى الذات حين تُكسَر: قارورة طيب انكسرت، فامتلأ البيت بالرائحة الطيبة.

حين تنكسر الذات، تصير رائحة طيبة جميلة.

ليُنعم الله علينا جميعًا، على كل كنيسة، وكل بيت، وكل نفس، بهذه النعمة، نعمة الله غنية، وصاحب العمل هو الرب، يستطيع أن يعمل بنا رغم ضعفنا.

ملكوت الله يأتي حين تموت الذات، حين تُكسر الذات تكون مؤهلًا للتناول من جسد مكسور، ومُسفوك لأجلك

يوم الجمعة، نقبل حمل الصليب بشكر تُمجّد الصليب بدموع، بفرح.

فتكون النهاية أن تُصلَب مع المسيح، فتحيا معه.

ولإلهنا المجد الدائم إلى الأبد، آمين

"إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي، فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ كُلَّ يَوْمٍ، وَيَتْبَعْنِي"

(إنجيل لوقا 9: 23؛ إنجيل متى 16: 24؛ إنجيل مرقس 8: 34)